الأرمن، وثورة ١٩١٩

دكتورة/ سعيدة محمد حسنى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
بكلية التربية العريش - جامعة قناة السويس

الأرمن، وثورة ١٩١٩

بمرور ما يربو على ثلاثة أرباع قرن على قيام ثورة ١٩١٩، تلك الثورة التى يؤكد معظم علماء التاريخ - سواء فى مصر، أم خارجها - أنها من أكثر الثورات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر التى تجلت فيها مظاهر الوحدة الوطنية بأعظم وأبهى صورها بين جميع عناصر الأمة المصرية، حتى الإنجليز أنفسهم التى كانت الثورة موجهة ضدهم سجل كُتَّابهم وساستهم، من خلال كتاباتهم إعجابهم بهذه الثورة، وتلك الانتفاضة الشعبية المنظمة من حيث النظام فى سير المظاهرات التى جابت البلاد من أقصاها إلى أقصاها، بالرغم من استخدام المصريين للعنف فيها أحيانًا، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا العنف الذى اضطر المصريون إلى استخدامه كان عنفًا موجهًا ومنظمًا، وليس عنفًا إرهابيًا، ولعل السبب فى ذلك راجع إلى وجود الهدف الذى كان من أجله الكفاح والنضال، وإباحة استخدام العنف، وبمعنى آخر.. كان هناك الوازع الوطنى الذى كان يحرك المصريين بكافة طوائفهم وقطاعاتهم، ولكن عز على الإنجليز أن تظهر مصر فى ذلك الوقت أمام العالم بهذا المظهر الحضارى فى المطالبة بحقها فى الاستقلال فعملت على تشويه تلك الصورة المشرقة من تاريخ مصر باستخدامها بعض عناصرمن الأرمن ذوى النفوس الضعيفة(١) لضرب الوحدة الوطنية فى مصر، ومن ثم كان الدافع من وراء اختيار تلك الجزئية من ثورة ١٩١٩ للبحث والدراسة وهى الجزئية الخاصة بالأرمن، ودورهم فى تلك الثورة وما أشيع حول هذا الدور من أقاويل.

---

(١) أعتقد أنهم ليسوا من الأرمن المصريين، لكنهم غالبًا من الأرمن الفارين إلى مصر، نتيجة اضطهاد الدولة العثمانية لهم قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى.

ولكن قبل الخوض فى هذا البحث، لابد من الإشارة إلى أن هناك عدة تساؤلات نطرحها، لعلها تفيد فى إيضاح تلك الجزئية، التى لم تظهر جلية فى ثورة ١٩١٩، أو لم تَحْظَ ـ ككافة جوانب الثورة ـ بالدراسة والبحث.

ومن هذه التساؤلات، على سبيل المثال لا الحصر:

مَنْ هُم الأرمن؟ ولماذا سُمُّوا بهذا الاسم؟ وما هو وضعهم القانونى فى الدولة العثمانية عامة، ومصر خاصة؟ ولماذا استخدموا ـ دون غيرهم ـ لضرب الوحدة الوطنية فى مصر أكثر من مرة؟ وما هو دورهم فى ثورة ١٩١٩؟، وهل نجح الإنجليز فى تحقيق أغراضهم بهذا الاستخدام؟

فى الواقع أننى أتمنى أن تستطيع هذه الوريقات أو هذا البحث أن يجيب على هذه التساؤلات وغيرها مما تعن للقارئ المتخصص، وغير المتخصص فى بحث هذه الحقبة التاريخية الهامة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، وعلى هذا تتضح الصورة للقارئ، وسأحاول جاهدة مناقشة هذه التساؤلات مناقشة علمية.

فبالنسبة للتساؤلات الخاصة بالأرمن، ونسبهم، وتسميتهم بهذا الاسم، فعلى الرغم من أنها ليست داخلة فى البحث فلابد من الإشارة إليها فى أسطر قليلة لتتضح الرؤية.

التعريف بالأرمن:

من الثابت تاريخيًّا أن الأرمن ينتهى نسبهم إلى «حيك بن تو حرمة بن جورم بن يافث بن نوح».. أمّا عن تسميتهم بالأرمن، فهو نسبة إلى منطقة «أرمينيا»، والتى أخذت هى الأخرى اسمها عن ملكها آرام السابع منْ حيك[١].

ومن المعروف أيضًا أن حدود أرمينيا هذه لم تثبت على حال نتيجة العوامل السياسية والتاريخية التى مرت بها، وكانت منطقة أرمينيا هذه خاضعة للدولة العثمانية التى كان ينضوى تحت لوائها قوميات متعددة، منها القومية الأرمينية، ويذكر المستشار فؤاد حسن حافظ فى كتابه[٢] أن الحكومة العثمانية لم تكن تميز بين رعاياها على أساس القوميات،

(١) جريدة مصر ١٢ أبريل ١٩١٩ ص١ ـ مقال بعنوان «من هم الأرمن».

(٢) تاريخ الشعب الأرمنى من البداية وحتى اليوم ص١٨٦.

ولكن على اعتبار أن الإسلام كان دينها الرسمى، فقد كانت تعامل رعاياها من غير المسلمين معاملة أهل الذمة، والواقع أن الأرمن فى ظل الحكم العثمانى قد شكلوا طائفة دينية مستقلة لها بطريركها المقيم فى «استانبول» ويتبع له بقية الأرمن المنتشرين فى كافة أنحاء الولايات العثمانية، على الرغم من وجود كنائسهم الخاصة بهم فى تلك المناطق.

وتجب الإشارة هنا إلى أن الأرمن قد تعرضوا إلى عديد من الاضطهادات والازدراء من جانب السلطان العثمانى فى «استانبول» والمناطق المجاورة لها وعرض لبعضها اللورد كرومر ـ المعتمد البريطانى فى مصر (١٨٨٣-١٩٠٧) ـ فى كتابه[١].

والواقع أن هذا الاضطهاد وسوء المعاملة من جانب الحكومة العثمانية قد تجلى بأبشع صوره خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مما كان له الأثر فى إثارة عطف الكثيرين على هؤلاء الأرمن، ومن المعروف أنهم قد تعرضوا لعديد من المذابح على يد الحكومة العثمانية، كان أشهرها التى وقعت سنة ١٩١٥، ذلك العام الذى عُرف فى تاريخ الأرمن بعام المذابح. وعلقت المقتطف على ذلك الاضطهاد للأرمن بقولها: إن عهد السلطان عبد الحميد اتسم بترك جنوده يفتكون بالأرمن طوال عهده.

وتستطرد المقتطف معلقة على مذابح عام ١٩١٥ بقولها: إن الاتحاديين فى ربيع سنة ١٩١٥ قاموا بتحريض من الألمان بنفى الأرمن وتعذيبهم عذابًا ما عُذّبه أحد فى العالمين من أول عهد الناس بالتاريخ[٢].

وأمعنت المقتطف فى إظهار صور هذا التعذيب، فذكرت أن مراسلى وقناصل الدول الأجنبية وصفوا ذلك التعذيب وصفًا يفتت الأكباد[٣]..... الخ.

واختلف الباحثون حول تقدير عدد الأرمن الذين ذُبحوا فى هذه المذابح، فقدرهم البعض بـ ٨١٠٠٠، وأوصلهم بعض آخر إلى مليون[٤]، وذكر آخرون

(١) Modern Egypt. p.630.

(٢) المقتطف الجزء الرابع من المجلد ٥٤ بتاريخ أول أبريل ١٩١٩ ـ ٣٣١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه ص٣٣٢.

أنهم بلغوا مليونًا ونصف المليون أى ما يقرب من ثلث عدد الأرمن فى العالم كله[١].

ويستشف من قراءة ما أوردته المقتطف أن الأتراك قد قاموا بذلك العمل بتحريض من الألمان، ويبدو أن هذا القول كان فيه شئ من الصدق والصحة، خاصة إذا ما علمنا أن طلعت باشا وزير الداخلية العثمانى قام بمذابح سنة ١٩١٥، بسبب شك الدولة العثمانية فى ولاء الارمن لها، ودافع الأرمن عن أنفسهم سنة ١٩١٥ لمدة أربعين يومًا باستبسال تحت قيادة عيسى يعقوب يان بجبل موسى على خليج الإسكندرونة[٢]، حتى أنقذهم أسطول فرنسى قام بترحيلهم إلى بورسعيد فى مصر، مما ترتب عليه زيادة عدد الأرمن بها، وقد سبقت هذه الزيادة الكمية زيادة كيفية لهم، بمعنى أن الأرمن قد لعبوا دورًا بارزًا ورائدًا فى مصر خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولاشك أنه قد وجدت عوامل ساعدت على ذلك الظهور الكيفى، ومن هذه العوامل على سبيل المثال:

العامل الأول: ويكمن فى سياسة التحديث التى قام بها محمد على خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، تلك السياسة التى جعلت للأرمن مكانة مرموقة فى مصر، حيث إن «محمد على» قد استعان بهم فى الجهاز الإدارى والبعثات العلمية، وكان لهم دور بارز خلال هذه الفترة فى الوساطة التجارية والدبلوماسية بين الشرق والغرب، وعلو كعبهم فى تلك الميادين كان مبعثه إتقانهم للغات الأجنبية، حيث إن بعض الأرمن كانوا يرسلون بأبنائهم إلى أوربا لتلقى التعليم العلمانى، الذى لم يكن متوفرًا فى الإمبراطورية العثمانية وقت ذاك[٣].

ومن الأرمن الذين احتلوا مكانة مميزة فى المجتمع المصرى خلال عصر محمد على، وما بعده: يوسف حككيان، وبوغوص يوسف يان، ونوبار نوباريان، ويعقوب أرتين، وبوغوص نوبار، وغيرهم من الأسماء التى لمعت فى تاريخ مصر خلال تلك الفترة. ومن الأشهر العائلات الأرمنية التى عُرفت بين المصريين: عائلة بليان، ومانتاشوف، وجورجانيان، وموتسيان[٤].

(١) يبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه بغرض إثارة العطف على الأرمن خلال هذه الآونة المواكبة لعقد مؤتمر الصلح بباريس.
(٢) المستشار فؤاد حسن حافظ المرجع السابق ص٤٢٢.
(٣) أ.د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ـ عصر حككيان ص٩٤.
(٤) المستشار فؤاد حسن حافظ، المرجع السابق ص ٣٧٥.

العامل الثاني: وهو عامل التطوير، وهذا العامل تمثل فى الأرمن أنفسهم بمعنى أنهم ـ أى الأرمن ـ طوروا أنفسهم حسب مقتضيات العصر الذى كانوا يعيشون فيه، أى أنهم تخيروا لأنفسهم الاشتغال بالأعمال والحرف التى حملت روح وطابع العصر الذى عاشوا فيه، ويتضح ذلك من الأعمال التى اشتغلوا بها، سواء فى مصر، أم فى كافة الولايات العثمانية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فوجد من بينهم المصور الماهر، والصحفى، والأجزجى (الصيدلى)، هذا بالإضافة إلى اشتغالهم بحرفة المبانى، وصناعة السجائر وغيرها من الصناعات التى تحتاج إلى دقة ومهارة ناهيك عن اشتغالهم بالسياسة والتجارة، ومن ثم كان الانتقال إلى التحدث عن الأرمن فى مصر، وجدير بالذكر هنا أن الأرمن قد عاشوا فيها كأى طائفة دينية لها كنائسها وتنظيماتها الطائفية الخاصة بها، وتؤكد ذلك.. المكاتبة المرسلة بمشروع القانون النظامى بطائفة الأرمن الكاثوليك بالقطر المصرى، وذلك بطلب عرض هذا القانون على مجلس شورى القوانين فى يونيو سنة ١٩٠٥ لإقراره[١].

وبالفعل أقر المجلس ذلك القانون فى جلسته المنعقدة فى أول أكتوبر من نفس العام، هذا بالإضافة إلى أنه قد كان لهم اتحادهم الخيرى الذى أسسه بوغوص نوبار باشا سنة ١٩٠٦، لخدمة أبناء الطائفة الأرمينية بالقاهرة[٢] وغيره من المؤسسات الخيرية والتنظيمات الخاصة بطائفة الأرمن بالقطر المصرى كأى طائفة دينية به، وكما سبقت الإشارة، فإن الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين شهدا ازدياداً كمياً وكيفياً للأرمن فى مصر، وكان لهم دورهم البارز فى الحياة السياسية والاقتصادية، وحتى النشاط الشيوعى كانوا هم أيضاً من أوائل الجنسيات التى شاركت فيه فى مصر، ويذكر الدكتور رفعت السعيد فى كتابه[٣]: أن أول حركة اشتراكية ظهرت فى مصر سنة ١٨٩٥ بإنشاء نقابة عمال الأحذية بالإسكندرية، وكانت مكونة أساساً من الأرمن، ومن اليونانيين.

ويستطرد الدكتور رفعت قائلا: إن الأرمن قد انضموا إلى الحزب الاشتراكى المصرى، فكثيراً من الأسماء الأرمينية ظهرت فى قضايا الحزب فيما بعد[١]. ويؤكد ذلك ما ذكرته

(١) الوقائع المصرية، ٥ اغسطس ١٩٠٥ ـ محضر جلسة مجلس شورى القوانين فى ٢٩ يونيو سنة ١٩٠٥.
(٢) المستشار فؤاد حسن حافظ ـ المرجع السابق ص ٤٢٠.
(٣) تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر من ١٩٠٠-١٩٢٥ ص ١٦٠.

مجلة السياسة الأسبوعية فى أحد أعدادها من أن الأرمن يقبلون الاندماج فى أى عمل، سواء كان قانونيـًا، أم لم يكن، واستطردت المجلة فى ذلك مشيرة إلى أن أكثر الجمعيات الشيوعية المنتشرة فى أنحاء العالم قوامها من الأرمن(٢)، ومن ثم كان استغلال الإنجليز لهم دون غيرهم، بغرض الإساءة إلى الوطنيين المصريين خلال هذه الحقبة التاريخية.

دور الأرمن فى ثورة ١٩١٩:

الواقع أنه لكى تتضح الرؤية كاملة عن ذلك الدور لابد من الإشارة إلى أن دور الأرمن فى ثورة ١٩١٩ يمكن استنتاجه من خلال عدة أطراف:

أولها: صحف ومصادر تلك الفترة، العربية منها والأجنبية.

ثانيها: مراسلات ساسة إنجلترا الذين عاصروا تلك الأحداث، المتمثلة فى الرسائل والتقارير الأسبوعية التى كان يرسلها هؤلاء الساسة والقواد فى مصر عن سير المظاهرات وأحداث الثورة بصفة دورية.

وثالثها: ويتمثل فى ردود فعل هذه الأحداث بين كل من الأرمن والمصريين.. وعند تناول كل طرف بمفرده سيتضح للقارئ إلى أى مدى كان كل طرف من هذه الأطراف يبغى إظهار تلك الأحداث بمظهر سئ إلى العمل الوطنى فى مصر، وأيهم كان يبغى تحجيمها ووضعها فى مكانها الصحيح من الثورة وأحداثها، التى كانت علامة طيبة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر.

فبالنسبة للطرف الأول: المتمثل فى صحف ومصادر تلك الفترة العربية منها والأجنبية، فيمكن القول بأن صحفها لم تُشِرْ من قريب أو بعيد إلى وقوع أى اعتداء من الأرمن على الحركة الوطنية خلال شهر مارس، أى منذ تفجر الثورة فى ٩ مارس، برغم نشرها لأدق دقائق أحداث الثورة، من سير المظاهرات وغيرها من ردود فعل الإنجليز تجاهها، إلا أن عبد الرحمن الرافعى، فإنه يذكر فى كتابه(٣) أنه أثناء سير مظاهرة

(١) د/ رفعت السعيد ـ المرجع نفسه ـ ص ١٦١.
(٢) مجلة السياسة الأسبوعية ـ السبت ٢٠ سبتمبر ١٩٣٠ ـ العدد ٢٣٧ ص١١.
(٣) ثورة ١٩١٩ ـ تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ إلى ١٩٢١، ص ٢٣٢.

المصريين فى ١٧ مارس ١٩١٩ أطلقت النيران على المتظاهرين من نوافذ بعض البيوت من مصدر غير معروف، قيل وقتها: إن الذى أطلق النار بعض الجنود البريطانيين، وقيل: بعض الأرمن، ولم تُعرف الحقيقة، فكان رد الفعل الطبيعى من عامة الشعب المصرى الاعتداء على بعض المحال التجارية فى المناطق التى وقع بها الاعتداء، وكانت هذه المحال مملوكة للأجانب عامة، والأرمن خاصة.

هذا بالإضافة إلى أن أحد أقطاب ثورة ١٩١٩ - وهو عبد الرحمن فهمى - يذكر فى موضوع من مذكراته[١]: أن أحد الأرمن قد أطلق الرصاص على المتظاهرين فى بعض أحياء القاهرة مما أدى إلى اعتداء عامة الشعب عليهم. ويؤكد أن الأرمن قد أطلقوا النيران على المتظاهرين خلال أحداث شهر مارس خطاب أرسله أحد القضاة المصريين بتاريخ ٣٠ مارس ١٩١٩. إلى جوليت آدم، وكان فيه ما يأتى: «... الأمة المصرية ثائرة منذ نحو الشهر من الزمان، وما كان الإنجليز إزاءها إلا فظعاء، فإنهم ما كفاهم أن يظلموا هذه الأمة، بل دفعوا بأذنابها من الأرمن لإطلاق النار على المصريين...»[٢]. ومن ثم كان التأكد من اعتداء الأرمن على المتظاهرين خلال شهر مارس، برغم أن الصحف لم تشر إلى ذلك الاعتداء.

وقد تكررت هذه الاعتداءات فى أبريل من نفس العام، ويؤكد ذلك ما جاء بالصحف والمصادر عن هذه الاعتداءات خلال شهر أبريل من أنه فى صباح يوم الخميس ١٣ أبريل من نفس العام، وكان ميدان عابدين غاصًّا بجمهور المتظاهرين من المصريين، حيث كانوا عن بكرة أبيهم فى عطلة عمل[٣] بسبب إضرابهم عن العمل فى ذلك الوقت، إذ برصاص يُطلق عليهم من منزل في هذا الميدان، فاضطرب المتظاهرون، وأُصيب مستر ديكس رئيس تفتيش التذاكر بالسكة الحديد ومساعد الحكمدار برصاصة[٤]. وتلا ذلك الاضطراب إطلاق عدة طلقات نارية من نفس المنزل، فما كان من المتظاهرين وعامة الشعب المصرى إلا أن هجموا على ذلك المنزل المطلق منه النيران، وحضرت دوريات

(١) عبد الرحمن فهمى - يوميات مصر السياسية جـ١ - تحقيق أ.د. يونان لبيب رزق ص١٤١-١٥٣.

(٢) جوليت آدم - عربه. على مصطفى كامل - إنجلترا فى مصر ص٣٣٧.

(٣) الأهرام ٦ أبريل سنة ١٩١٩ ص٨.

(٤) نفس المرجع.

إنجليزية لتهدئة الموقف. . إلى آخره من الأحداث التى تتلو أى إضطراب غير متوقع. ويؤكد ذلك ما أورده عبد الرحمن فهمى فى مذكراته من ملخص تقرير رفعه شاهد عيان لهذا الحادث، وليس شاهد عيان فحسب، بل أحد قاطنى المنزل مصدر الرصاصات، والتى سجلت حلقة جديدة فى تعكير صفو العلاقات بين المصريين والأرمن[١].

ومن قراءة ما أورده عبد الرحمن فهمى، يمكن تصور ماحدث، وما تلا ذلك من تطور لسوء العلاقة بين المستخدمين لضرب الحركة الوطنية المصرية، وفى تقديرى أن الأرمن الذين استخدموا فى ذلك العمل الشنيع لم يكونوا من الأرمن المصريين، ويؤكد ذلك ما ذكره أحمد شفيق فى حولياته من أن اعتداءات الأرمن المتكررة على المتظاهرين الوطنيين، كان سببه عدم نزع السلاح منهم، الذى كانوا يستخدمونه أثناء الحرب العالمية العظمى، كما نزع من المصريين بدعوى أن الأرمن أجانب، مما كان له دور كبير فى إثارة سخط الجماهير عليهم[٢]، ثم توالى نشر أخبار تلك الأحداث، وما تلاها من اضطرابات ضد الأرمن فى الصحف وغيرها من مصادر تلك الفترة، حتى تم القبض على المتهم بإطلاق النار، والقبض على ٥٥ آخرين من المتهمين بإثارة القلاقل وعدم الأمن فى البلاد[٣].

وأعلن عن الخسائر فى الأرواح التى وقعت للأرمن، ومن الغريب أنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى خسائر المصريين ـ إلا ما ندر ـ وقيدت حادثة ٣ أبريل هذه فى دفتر أحوال قسم عابدين نمره ٧٠ بتاريخ ١١ أبريل سنة ١٩١٩[٤].

ثم تلا ذلك محاولات عديد من الأرمن العقلاء والمصريين المتبصرين ـ الذين كانوا يدركون جيدًا الهدف من وراء إثارة هذه القلاقل رأب الصدع الذى أوشك على إصابة الحركة الوطنية المصرية، والنيل من مطالب المصريين. وسنعرض لبعض محاولات التقريب بين الطرفين فيما بعد.

وبالنسبة للطرف الثانى: الذى يكمن فى كتابات ومراسلات الإنجليز المقيمين فى

(١) انظر: عبد الرحمن فهمى ـ يوميات مصر السياسية ـ الجزء الأول ـ تحقيق أ.د. يونان لبيب ص٢٠٣.

(٢) أحمد شفيق باشا ـ حوليات مصر السياسية ـ الجزء الأول ص٣٢٣.

(٣) جريدة وادى النيل، ٧ أبريل سنة ١٩١٩ ص٢.

(٤) عبد الرحمن فهمى ـ المرجع السابق ص٢٠٣.

القاهرة، والذين يرسلون بها إلى أقاربهم أو حكومة لندن لإحاطتهم علماً بما كان يجرى فى القطر المصرى، فقد كانت تذكر أن رعاع المصريين ـ كما كانوا يطلقون على المصريين المتظاهرين ـ أحرقوا ونهبوا عديداً من المنازل والمحال التجارية المملوكة للأرمن(١)، على الرغم من أن بعض الأرمن هم الذين بادروا بإطلاق النيران على المتظاهرين كما هو واضح مما سبق خلال سير مظاهرات ١٧ مارس، أو أحداث ٣ أبريل وما تلاها فى بعض أحياء القاهرة، مثل حى عابدين والسكة الجديدة، وبين السوريين، والموسكى، فما كان من بعض المصر، إلا أن هاجموا منازل هؤلاء الأرمن ومحلاتهم التجارية، وخربوا وسلبوا الكثير منها.

وخلال تلك الأحداث نشرت جريدة الأهرام أن التجار الذين اعتدى الأوغاش(٢) على محلاتهم قد كتبوا كشوفاً بالخسائر التى قد حلت بهم وطالبوا بضرورة تعويضهم(٣). وكان يمكن لهذه الحوادث أن تمر بالتحقيق مع مرتكبيها من الطرفين ولكن تدخل الإنجليز المقصود هو الذى وسع هوة ذلك الخلاف وأظهره للعيان وكأنه فتنة طائفية، وأن الأجانب عامة، والأرمن خاصة مهددون ومضطهدون فى مصر، وعلى السلطات الإنجليزية حمايتهم. ومن ثم أخذت هذه السلطات فى تجميع أفراد الجالية الأرمينية من منازلهم وأوَتْ بعضهم فى القلعة، والبعض الآخر أعدت لهم معسكرات فى منطقة مصر الجديدة تحت حمايتها(٤)، وأمنتهم على حياتهم ـ كما كانت تشيع وقت ذاك.

وفى الواقع أن إنجلترا لم تقم بذلك العمل من أجل حماية الأرمن والأجانب، وإنما كانت لها مصلحة ومنفعة خاصة من وراء إذكاء نار الفتنة الطائفية وإثارة القلاقل فى تلك الآونة التى كان يمكن أن تعكر صفو الكفاح والنضال الوطنى فى مصر، ومن ثم كانت ضرورة الإتيان ببعض فقرات من الخطاب الذى سبقت الإشارة إليه لعله يضع الأحداث فى مكانها الصحيح.

---

(١) خطاب بتاريخ ٩ أبريل ١٩١٩ أرسله راسل إلى والده "Russel's Private papers" وتضمن وصف الأحداث التى وقعت فى مصر خلال هذه الفترة، وقد حصلت عليه من أ.د. عبد الوهاب بكر.

(٢) كما نعتتهم الجريدة وقت ذاك.

(٣) الأهرام فى ٢٤ مارس ١٩١٩.

(٤) أحمد شفيق باشا ـ المرجع السابق ص٣٢٣.

«. . . إنى واثق من أنه يوجد بين الجالية الأرمينية رجال ذوو قلوب كبيرة، وليسوا إلا أحباء مخلصين لوطن الفراعنة، لذلك أدهشتنا الجرائم الأرمينية، ولم نجد مبرراً لهذا التعصب الأعمى الذى لا يخدم إلا شناعة إنجلترا»، واستطرد مرسل هذا الخطاب مسائلا مدام جوليت آدم: «أيستطيع أجنبى عندكم أن يطلق النار على الجمهور فى مظاهرة وطنية؟ إن هذا لا يقع عندنا إلا إذا كانت لإنجلترا منفعة تبغيها من وراء خلق القلاقل. . . . . إن أمتنا التى ما كان لإنجلترا أن تصل بدونها إلى قمة النصر فى الشرق تعاملها اليوم إنجلترا كأمة مغلوبة مقهورة. . . هذا المكتوب يسلمه إليك صديقى. . . فإن المراقبة الإنجليزية عندنا لمَّا لا يطاق، إذ تجدين مالطيين، وأرمن، وسوريين، وفى الغالب من كل جنس ملتحقين بها ليراقبوا رسائل مصر، وبذلك يطمئنون الإنجليز على حسابنا. . .»[١].

ومن قراءة هذا الخطاب، يتضح أن إنجلترا كانت لها اليد الطولى فى إذكاء نار الفتنة بين الأرمن والمصريين، لأنها المستفيد الأول من زيادة إشعال هذه الفتنة.

وهناك دليل آخر على أن الإنجليز هم الذين وسعوا هوة الخلاف بين الأرمن والمصريين، وهو الرسائل المتبادلة بين أللنبى وساسة إنجلترا خلال تلك الفترة[٢] ومنها برقية أرسلها أللنبى إلى كريزون، متضمنة أحداث الثورة التى وقعت فى مدينة القاهرة، وكان من بينها ما وقع للأرمن بصفة خاصة، أنهم قد تعرضوا إلى اعتداءات عنيفة من جانب كثير من المصريين، لذلك كان لابد من تجميعهم فى معسكرات بالقرب من مدينة القاهرة تحت رعاية وحماية الإنجليز[٣]. وهناك رسالة أخرى يذكر فيها أللنبى أنه قد كان هناك محاولات لإكراه الأرمن على ترك منازلهم من جانب المصريين، واستدل على ذلك بقوله: إن منازل هؤلاء الأرمن قد مُيزت بوضع صلبان بيضاء على أبوابها مما أوقع الرعب فى قلوب هؤلاء الأرمن، فما كان من الإنجليز إلا أن اضطروا إلى إجلائهم

(١) مدام جوليت آدم ـ عرّبه على مصطفى كامل ـ مرجع سبق ذكره ـ الطبعة الأولى ص٣٣٧-٣٣٨.

(٢) هذه الرسائل تم استخراجها من الوثائق الإنجليزية الموجودة بحوزة أ.د. يونان لبيب.

(٣) RGENT FROM GENERALSIR. E. ALLE NBY TO EARL CURZON, F.O. 407-160/ CAIRO, APRIL- 9-1919. P.123.

وتجميعهم فى معسكرات خاصة بهم فى ضاحية مصر الجديدة ،وغيرها من الأماكن الآمنة[١]، من وجهة نظر الإنجليز.

واستطر أللنبى فى هذه البرقية قائلا لكريزون: إن هناك ١٠٠٠ منزل قد هجرها سكانها من الأرمن فى القاهرة، وتحاول السلطات الإنجليزية أن تيسر لهم سُبل المعيشة بكل الوسائل الممكنة.

لماذا الأرمن دون غيرهم؟

ومن ثم كان لزامًا علينا هنا أن ننتقل إلى مناقشة التساؤل الخاص: لماذا الأرمن ـ دون غيرهم من بقية العناصر الأجنبية الموجودة فى المجتمع المصرى ـ هم الذين استغلهم الإنجليز لضرب الحركة الوطنية؟

ولمناقشة ذلك كان ضروريًا الإشارةُ إلى أن الأرمن الذين استخدمهم الإنجليز لم يكونوا إلا الأرمن الأجانب الذين أتوا إلى مصر، نتيجة سوء المعاملة التى لاقوها من الدولة العثمانية والتى سبقت الإشارة إليها، هذا بالإضافة إلى أن إنجلترا كانت ترغب فى أن تكون الموئل الذى يستند إليه أصحاب القوميات المضطهدة ـ كما كانت تشيع وقت ذاك ـ فى الدولة العثمانية خاصة، وأنه قد عاصر تلك الإضطرابات فى مصر عقد مؤتمر الصلح فى باريس الذى كان معنيًا بتوزيع ممتلكات الدولة العثمانية المنهزمة فى الحرب، وكان جل رغبات القومية الأرمينية هو الارتكان إلى قوة تساعدهم على نيل استقلال بلادهم أو تحقيق أمانيهم فى العودة إلى بلادهم أرمينيا، ومن ثم كانوا الورقة الرابحة التى استخدمها الإنجليز لضرب الحركة الوطنية فى مصر، إذا ما وضع فى الاعتبار ما ذكرته مجلة السياسة الأسبوعية عن الأرمن ـ بعدما يربو على الأحد عشر عامًا ـ من أنهم أداة صالحة لكل عمل ثورى، بعكس اليهود[٢].

ولم يكتف الإنجليز باستغلال ذلك الخلاف بين الأرمن والمصريين فى ضرب الحركة الوطنية فى مصر فحسب، بل أكثر من ذلك شككوا فى مساندة أقباط مصر للحركة الوطنية أثناء الثورة، ونوهوا إلى أن مبعث هذه المساندة هو خوف الأقباط من أن يحدث

(١) F.O. 407 NO., 329 ENCLOSURE TWO P. 273.

(٢) السياسة الأسبوعية ـ العدد ٢٣٧ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٣٠ ص١١.

لهم ما حدث للأرمن، وعلى الرغم من دحض هذا القول فإنه وجد تأييدًا من لويس عوض حين ذكر فى كتابه[١] أن بعض الأقباط الذين وقفوا بجانب الوطنيين سنة ١٩١٩ كانوا يخشون الجماعات الإسلامية، هذا بالإضافة إلى أنه ذكر أن هذه الجماعات فى مدينة المنيا مثلا قامت بتمييز منازل الأقباط عن غيرهم من سكان المدينة بوضع صلبان حمراء على أبوابها، تمهيدا لاغتيال أصحابها، وغيرها من إشاعة الأقوال والآراء التى كان شأنها أن تقلل من حجم كفاح الشعب المصرى بعنصريه.

ردود فعل أحداث ١٩١٩ بين الأرمن والمصريين:

بعد الانتهاء من ذكر تطور تلك الحوادث، وكيف أنها كانت حوادث فردية، كان يمكن أن تمر دون ترك أثر بين أطراف النزاع، ولكن بعد أن اتضح ـ من خلال العرض السابق ـ أى الأطراف كان يريد تصعيد ذلك الخلاف على الصعيدين المصرى والأرمنى، على اعتبار أن هذين الطرفين هما الأساس فى هذا الخلاف.

أولا: بالنسبة لردود فعل هذه الأحداث بين المصريين:

إن موقف المصريين من الأجانب عامة، والأرمن خاصة يتضح من خلال البيانات التى نشرت فى الأيام التى أعقبت الثورة، والتى أخذت تُطمئن الأجانب على حياتهم ومحلاتهم التجارية فى البلاد، وأعلن المصريون فى هذه البيانات صراحة أنهم لا يبغون سوى استقلال مصر، أما بعض الاضطرابات التى وقعت، والتى قيل إن بعض الأرمن هم المتسببون فى وقوعها، وكادت أن تفضي إلى فتنة، لاشك أنها كانت مستهدفة.

لقد أخذ بعض العقلاء من المصريين وبعض طلبة المدارس العالية والخصوصية والابتدائية ينادون فى جميع أحياء القاهرة بما يلى:

«أيها المواطنون، كل من يعتدى على أرمنى، أو رومى، أو أى أجنبى آخر لا يكون وطنيًّا، ولو كان مصريًّا»[٢].

وأخذوا يصفون من يرتكب مثل هذه الأفعال بأنه مجرم وليس وطنيًّا ولا مصريًّا،

(١) أوراق العمر ـ ص١٢١، ١٢٢.

(٢) الأهرام ـ فى ١١ أبريل ١٩١٩ ص١٧.

وأهابوا بالأهالى بأنهم إذا ما رأوا شخصًا يرتكب مثل هذا لابد من إبلاغ البوليس، خشية الإساءة إلى مصر والحركة الوطنية، هذا بالإضافة إلى أنه قد بذلت محاولات عديدة من جانب بعض عقلاء المصريين لتضييق هوة الخلاف بين المصريين والأرمن وذلك بمحاولة إرجاع الأرمن الذين تركوا منازلهم إليها، والسعى إلى القضاء على الفتنة التى كادت أن تلتهم ما حولها[١] وتسيء إلى الحركة الوطنية فتظهر هذه الحركة بمظهر العداء للأجانب.

ورصدت تقارير ومراسلات الساسة الإنجليز إلى حكومتهم فى لندن أحداث تلك **الثورة والمساعى التى بذلها المصريون** فى ذلك المضمار، فأخذت تعلن بوضوح أن **المصريين العقلاء قاموا بمحاولات عديدة** لإرجاع الأرمن إلى منازلهم، وكيف أن الأخيرين قد فضلوا الإقامة فى المعسكرات التى أعدتها السلطات الإنجليزية لهم على اعتبار أنها آمنة - من وجهة نظرهم - واستطردت هذه المراسلات فى رصد تلك المحاولات، فذكرت أن بعض المحامين المصريين قاموا بزيارة الاتحاد الأرمنى بالقاهرة فى مساء يوم ١٩ أبريل مطالبين بعودة الأرمن المقيمين فى المعسكرات الإنجليزية إلى منازلهم، وتعهدوا ببذل الجهود لتيسير انتقالهم وتأمينهم، إلا أن الأرمن رفضوا، مبررين ذلك الرفض بخوفهم من رعاع المصريين، وأنهم - أى الأرمن - لم يعودوا يثقون بأى من المصريين[٢].

وتشير الوثائق الإنجليزية أيضًا إلى اجتماع عُقد بين المصريين والأرمن بالعباسية فى يوم ١٥ مايو من نفس العام، وتكرر الوثائق أن المصريين كرروا طلبهم بضرورة عودة الأرمن إلى منازلهم، وكالعادة رفض الأرمن متذرعين بأن المعاناة التى يعانونها فى مصر جزء من المعاناة التى يعانيها الأرمن فى أرمينيا[٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأرمن فى تلك الآونة كانوا يطالبون بإنشاء دولة أرمينية كبرى بإقليم ما وراء القوقاز وشرق الأناضول تطل على البحرين الأسود والمتوسط من خلال مذكرة تضمنت مطالبهم قدموها إلى دول الحلفاء فى مؤتمر

(١) أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الجزء الأول ص ٣٢٣.

(٢) F.O. 407 NO, 329., FROM general sir, E. Allenby to Earl curzon Enclosvre p. 270, Cairo April 27-1919.

(٣) F. O. 407 NO, 363 Enclosvre about summary of Events of the week May 11-to 17 p. 315.

الصلح[١]، ومن ثم فإن إظهار أى معاناة للأرمن فى مصر ـ والتى كانت إحدى ولايات الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية العظمى ـ يعطيهم الحق أكثر فى ذلك المطلب، ولعل ذلك كان من وراء إرسال بعض الأرمن فى مصر برقيات إلى بغوص نوبار باشا عن ما حدث لهم فى مصر، وخاصة أن «بغوص» هذا كان يُعد لعقد مؤتمر دولى أرمنى بباريس يحضره أقطاب الأرمن فى كافة أنحاء العالم لبحث القضية الأرمنية، ومن هنا فإن إظهار الأرمن فى مصر بمظهر المضطهدين الذين يبحثون عمن يساندهم أمر طبيعى، وبالتالى كانت إنجلترا هى الموئل الذى يلجأ إليه الأرمن، وخاصة أنها قد سبق لها أن ساعدت اليهود من قبل، وهى كدولة استعمارية تجد فى الأقليات ورقة رابحة، وقد كتبت مجلة السياسة معلقة على ذلك مقالا طويلا بهذا المعنى، ذكرت فيه أن المستعمرين دائمًا ما يتخذون من الأقليات ـ غالبًا ـ حجة لتدعيم نفوذهم الاستعمارى فى أى بلد[٢].

وأعطت المجلة مثالا على ذلك بمساعدة إنجلترا لليهود فى فلسطين، وكيف أنها تسعى الآن ـ وقت نشر المقال ـ لمساعدة الأرمن لإيجاد وطن قومى لهم فى شمال سوريا، وكيف أنهم يسعون كما سعى اليهود من قبل إلى ذلك الهدف حتى تحقق[٣].

إذا فإن الأرمن لم يجدوا أمامهم سوى إنجلترا لتساندهم فى مطالبهم وقت عقد مؤتمر الصلح الذى واكب الأحداث التى وقعت فى مصر.

ولا نستطيع الجزم بأن هذه الأحداث كانت مدبرة أولا، ولكن كل ما يمكن قوله هو أنها كانت أحداثًا فردية، كان يمكن أن تمر بسلام ويحقق مع الطرفين ـ كما سبق الإشارة إلى ذلك ـ ولكن نظرًا إلى أن هناك من الأطراف الثلاثة ـ سواء من بعض المصريين، أم الأرمن، أم الإنجليز ـ من يريد أن يستفيد منها، وإبراز تلك الأحداث إلى حيز الوجود بذلك المظهر الذى يسىء إلى الحركة المصرية، ويظهر الأجانب من ناحية بمظهر المضطهدين، ولذا فإن محاولات المصريين الجادة في إرجاع الأرمن إلى بيوتهم والتعهد ببذل المساعى لطمأنتهم على حياتهم كانت دائمًا ما تبوء بالفشل، خاصة من جانب

(١) المستشار فؤاد حسن حافظ ـ المرجع السابق ص ٤٢٩.

(٢) مجلة السياسة الأسبوعية ـ العدد ٢٣٧ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٣٠ ـ ص١١، مقال بعنوان: الأرمن والوطن القومى.

(٣) نفس المرجع.

الأرمن الذين يبغضون الدولة العثمانية، ويرنون بأبصارهم إلى إنجلترا كى تيسر لهم إقامة الدولة التى يرغبون فى قيامها[١].

ثانياً: ردود فعل الحدث بين الأرمن أنفسهم:

الواقع أن الأرمن فى مصر إزاء هذه الحوادث انقسموا إلى فريقين:

الأول: احتمى بالإنجليز ،وفضل وجود الأرمن فى المعسكرات التى أعدتها السلطات الإنجليزية لهم بهدف حمايتهم من الاضطهاد، وسوء معاملة المصريين لهم ـ كما كان يشاع وقت ذاك. وفى تقديرى أن هذا الطريق هو من الأرمن الذين كانوا يبغضون الدولة العثمانية. وهاجروا إلى مصر نتيجة سوء معاملة السلاطين العثمانيين لهم.

وعلى هذا . .فإن هؤلاء الأرمن لم يكن أمامهم موئل ولا مساند سوى إنجلترا، وبالتالى مثلت لهم مخرجًا جيدًا، ممًّا كانوا يعانونه وقت ذاك من الاضطهاد، وما كانوا يحلمون به من قبل استقلال «أرمينيا» على يد إنجلترا، خاصة أن لها باعًا طويلًا فى مساندة اليهود لإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين كما سبق الإشارة إلى ذلك.

وحاول الأرمن المنتمون إلى هذا الفريق استغلال الفرص السانحة أمامهم، والمتمثلة فى عقد مؤتمر الصلح والظروف الدولية التى نجمت بعد انتهاء الحرب العالمية العظمى، فأخذوا يرسلون ببرقيات إلى إخوانهم الأرمن المقيمين خارج مصر، وخاصة فى باريس، مستنكرين فيها ما وقع لهم فى مصر، ومتضمنة الشكر للسلطات الإنجليزية على ما قدمته للأرمن فى مصر من تسهيلات ومساعدات، ومن هذه البرقيات ـ على سبيل المثال ـ برقية أرسلها الاتحاد الأرمنى بالقاهرة إلى بوغوص نوبار باشا المقيم بباريس، وكانت هذه البرقية تتضمن ما وقع للأرمن فى مصر[٢] من حوادث وخسائر بالتفصيل، موجهة الشكر للسلطات الإنجليزية على ما قدمته للأرمن من مساعدات[٣].

(١) السياسة الأسبوعية ـ عدد سبقت الإشارة إليه.

(٢) أنشأ هذا الاتحاد بوغوص نوبار باشا ١٩٠٦.

(٣) F.O. 407 No. 329 enclosure, 2 About an acount of the progress of events in cairo and the provinces from April 20 to 26-1919 p. 273.

ورسالة أخرى أرسلها بطريرك الطائفة الأرمينية بالقاهرة إلى بوغوص نوبار باشا أيضًا، وكانت بتاريخ ٣ مايو ١٩١٩، حاول فيها البطريرك إيضاح ما وقع للأرمن من حوادث فى القاهرة والأقاليم، ومما جاء بها:

«نحن نشكرك على مشاعرك الفياضة نحونا. إنَّ ضحايانا فى القاهرة ١٨ قتيلا، و١٩ جريحًا، ودُمرت بنايتان، وجارى إعداد قائمة بكل الخسائر التى تكبدها الأرمن فى تلك الأحداث. . .».

واستطرد البطريرك قائلا: «. . وبالنسبة للكنائس ومعظم المحلات التى يمتلكها الأرمن فهى مازالت مغلقة حتى إرسال هذه البرقية تقريبًا. وهناك حوالى أربعة آلاف أرمَنّى يحتمون فى معسكرات داخل مصر الجديدة، وخلال الأيام الأربعة الأخيرة تقوم السلطات العسكرية الإنجليزية بتقديم كافة المعونة لهم، أما فى الإسكندرية فقد حُطمت بنايتان»(١).

وكذلك نوه البطريرك إلى تقديم الشكر للإنجليز على أنهم بذلوا أقصى ما فى وسعهم للتقليل من مخاوف الأرمن فى مصر، مشيرًا إلى أن الإشاعات المعادية ضد الأرمن مازالت مستمرة فى مصر بين الطبقات الدنيا، على الرغم من الوعود التى قطعها الأعيان المصريون على أنفسهم لطمأنة الأرمن. وطلب البطريرك من بوغوص صرورة تشكيل لجنة مختلطة للتحقيق فى هذه الحوادث(٢).

ولاشك أن قراءة هذه البرقيات والرسائل يمكن للقارئ استنباط عدة حقائق، منها:

الحقيقة الأولى: والتى تتمثل فى السلطة الإنجليزية، أو بمعنى أدق: الدور الذى لعبته هذه السلطة فى إشعال نار الفتنة بين المصريين والأجانب بصفة عامة، واستغلالها لما وقع بينهم وبين الأرمن بصفة خاصة لتدعيم موقفها فى مصر. وهذا الدور بلا شك لا يغيب

(١) F.O. 407 No 310 From earl curzon to Mr. Balfour. Paris Mai 12-1919 page 260.

(٢) F.O 407 op. city.

عن القارئ المتخصص فى تاريخ مصر خلال هذه الحقبة، على اعتبار أن السلطات الإنجليزية كثيراً ماكانت تستغل الأقليات فى أى بلد وجدت فيه تدعيمًا لوجودها فيه.

الحقيقة الثانية: والتى تتمثل فى الأرمن المستقطبين من جانب السلطات الإنجليزية، والذين أرسلوا بهذه البرقيات بهدف تضخيم المشكلة الأرمينية أمام العالم وكانت مصر على سبيل المثال - من ناحية - والذين رأوا فى إنجلترا مخرجًا لهم، وهنا تجب الإشارة إلى أن الظروف السياسية كانت مواتية للطرفين، سواء السلطات الإنجليزية، أم الأرمن من هذا الفريق.

الحقيقة الثالثة: والتى يمكن التوقف عندها عند قراءة هذه البرقيات، فهى خاصة بالشعب المصرى، بمعنى أن المصريين المتعقلين المتفهمين لما يمكن أن تنتهى به تلك الحوادث من تشويه لصورة الحركة الوطنية المصرية، بادروا إلى وَصْدِ ذلك الباب بمحاولاتهم المتعددة لإرجاع الأرمن إلى بيوتهم، التى كانت تبوء بالفشل أحيانًا. وعلى الجانب الآخر وجد بقية الشعب المصرى الذى كان هذا الحدث يمثل بالنسبة لهم اعتداءً أجنبيًّا على شعب يطالب باستقلاله وحق بلاده فى الحرية والدستور، وأن هذا الفريق من الأرمن استُخدموا بصفتهم أجانب للنيل من هذا الوطن، ولذا.. لابد من التخلص منهم أو توجيه الضربات لهم كما كانت تُوَجَّه للاحتلال.

ثانيًا: أن هذا الفريق من الأرمن فى مصر، والذى ضم الأرمن المعتدلين الذين لم تستطع السلطات الإنجليزية استقطابهم الواقع أن موقف هذا الفريق من الأحداث ما هو إلا استنكار لها وتبرؤ منها، ومن كل ما يعكر صفو العلاقات بين الأرمن والمصريين، ومن ثم أخذت الصحف العربية والأفرنجية فى مصر تنشر صوراً لذلك الاستنكار والتبرؤ، ومن ذلك المنشور الذى نشرته جريدة الأمة لرئيس كهنة الأرمن فى مصر، والذى تبرأ فيه من كل أرمنى ارتكب أو يرتكب منكراً فى حق مصر، واختتم هذا المنشور باعترافه بفضل المصريين على الأرمن(١).

---

(١) جريدة الأمة - العدد ٢٤٦ بتاريخ ١٦ أبريل ١٩١٩ ص٢٠.

هذا بالإضافة إلى ما نشرته جريدة «لى جورنال» من نداء على لسان نائب البطريركية الأرمينية فى القطر المصرى يرثى فيه بعميق الأسى الضحايا من الطرفين، مستنكرًا فيه ما قام به بعض الأرمن المأجورين، ويذكرهم بأن هذه الأفعال كانت تشين أبناء الطائفة بمصر، ونوّه إلى أن العناصر الأرمينية التى قامت بتلك الفعلة ما هم إلا عناصر أرمينية استخدمت لضرب الحركة الوطنية المصرية، ونعتهم بأنهم ذوو نفوس ضعيفة.

وأنهى نداءه هذا بضرورة أن تعود العلاقات بين المصريين والأرمن إلى ماكانت عليه من قبل من الكرم وحُسْن المعاملة ودماثة الخُلق بين الطرفين، مستطردًا فى القول بأنه ليس من المعقول أن يقوم بضع أفراد من طائفة باقتراف بعض الأعمال التى تدل على الجحود ويُؤَاخَذ بها بقية أبناء الطائفة الأبرياء(١).

وأيضًا أخذت جريدة الأهرام تنشر نداءات مشابهة لذلك من معظم ولاة الأرمن فى مصر مثل ما نشرته لمطران الأرمن الكاثوليك (كوزيان) والذى نفى فيه أى اعتداء وقع من أحد من طائفة الأرمن فى مصر على المصريين، وأهاب بأبناء الأرمن بأن لابد من احترامهم لمشاعر المصريين والدعاء لهم بتحقيق آمالهم القومية(٢).

هذا بالإضافة إلى مانشرته جريدة مصر من تردد عديد من هؤلاء الأرمن على منازل بعض المصريين بغية استنكار تلك الحوادث، وأخذت الجريدة تنصح هؤلاء الأرمن العقلاء - كما أطلقت عليهم وقت ذاك - بضرورة تحرى الروايات التى رويت عن الطائشين من الأرمن، وضرورة لفت نظر ولاتهم إلى خطورة تلك الأمور(٣).

وتعددت اللقاءات بين الأرمن والمصريين، وفى أحدها بكنيسة الأرمن بالإسكندرية خطب أحد الحاضرين من الأرمن قائلا: «إن الجالية الأرمينية فى جميع القطر المصرى لا تنسى حُسن الضيافة المصرية، وأنها أول من سُرَّ بهذه المظاهرات السلمية».

ثم اتفق الفريقان على ضرورة العمل على إزالة سوء التفاهم بين الطرفين، وقرر المجتمعون توجيه الدعوة التالية للشعب المصرى أجمع، وهى: «إلى المصريين إخواننا فى

(١) Le Journal Du Caire April 11-1919 p. 2.

(٢) الأهرام اليومى - يومى ٩-١٠ أبريل ١٩١٩ - ص ١٣، ص ١٤.

(٣) جريدة مصر - العدد ٦٦٦٣ - بتاريخ ١١ أبريل ١٩١٩ ص ٢.

الوطنية، مصر تناديكم بما لها عليكم من الحقوق المقدسة» إن الشعب الأرمنى الممثل فى رجال الدين وكبار التجار والمحامين والدكاترة أكد أن ما وقع بالقاهرة والإسكندرية يتبرأ منه هذا الشعب، لذا نرجو منكم أنتم - إخواننا العلماء والقساوسة والمحامين والأطباء والطلبة - أن تبادروا بإفهام الجمهور هذه الحقيقة، وتنبثوا بين طبقات الشعب فى المساجد والكنائس والطرق والمحلات العمومية لتقنعوهم بذلك»(١).

وتبادل الطرفان الزيارات، ومنها الزيارة التى قام بها بعض أعيان الأرمن فى الإسكندرية للشيخ عبد الغنى محمود، شيخ علماء الإسكندرية، واستنكروا فيها هذه الأحداث، فطيَّب الشيخ خاطرهم، ووعدهم بأنه سيوصى الخطباء فى المساجد بضرورة حث جميع المسلمين على مسالمة الأرمن وتهدئة الخواطر(٢).

أمّا جريدة الممتاز فقد نشرت فى أحد أعدادها مقالة عن الأرمن فى طنطا وصفتهم فيها بأنهم قوم هادئون لا تهمهم السياسة فى شىء، لأنهم ليسوا طلاب وظائف، وجل رغباتهم الحصول على قوتهم، فهم يكدون فى أعمالهم التى يقومون بها(٣).

واستطردت هذه الجريدة تقول فى مقالها: «إننا ما رأيناهم يومًا ما تدخلوا فى شئون المصريين، وأنهم قوم عقلاء يعرفون من أنفسهم أقليتها، هذا بالإضافة إلى أنهم ضيوف فى بلادنا، والضيف عادة يقف عند حد الحياء(٤).

وفى القاهرة زار وفد من رجال الطائفة الأرمينية المقيمين فى القاهرة والإسكندرية الشيخ عبد المجيد اللبان بمنزله، وكان هذا الوفد يضم اثنين من قساوسة الطائفة، وميشيل بك غريان عميد الأرمن فى الإسكندرية، ورئيس جمعيتهم العامة، وبعض المحامين، وأعيان الطائفة(٥).

ويبدو أن هذه الزيارة كان متفق عليها، ويدل على ذلك أنه كان فى استقبال هذا

---

(١) جريدة وادى النيل - ١٥ أبريل سنة ١٩١٩ - ص٢.

(٢) جريدة مصر - العدد ٦٦٦٧ - بتاريخ ١٦ أبريل ١٩١٩ ص٢.

(٢) جريدة الممتاز - العدد ٧٧١ - ٢٧ أبريل سنة ١٩١٩ ص٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) جريدة وادى النيل العدد ٢٩١٦ - ٢٠ أبريل سنة ١٩١٩.

الوفد جمهور من العلماء والمحامين وأعيان الأمة من مسلمين وأقباط، وأثناء الاجتماع تبادل الموجودون من الطرفين الخطب، مؤكدين روح التسامح بين الجميع، وأنّ ما وقع ليس إلا من تدبير أهل السوء الذين يجلبون منفعة من وراء تلك الحوادث، فأوصوا بعضهم بعضًا بأن يُفهموا عامة المصريين والأرمن حقيقة ما وقع، وألا يطيعوا دعاة السوء من الذين يحاولون تشويه صورة مصر وضيوفها.

وفى النهاية ركب جميع الحاضرين من الفريقين السيارات، وطافوا الأحياء التى وقعت بها تلك الحوادث حتى وصلوا إلى الكنيسة الأرمينية، والتقطت الصور للفريقين وسط الهتاف والتصفيق من الحاضرين[١].

وعلى إثر هذه الأحداث، كانت الدعوة إلى التقارب بين المصريين والأرمن المكونين مع بقية الطوائف والأقليات التى تعيش فى مصر لنسيج الأمة المصرية. وقد تجلت هذه الدعوة فى أحد الكتب التى ظهرت بعد ١٩١٩ ببضع سنين، حيث دعا مؤلف هذا الكتاب إلى ضرورة تعلم المصريين من غير الأرمن اللغة الأرمينية، هذا بالإضافة إلى دعوته لضرورة تأسيس رابطة مصرية ـ أرمينية، الهدف منها تجنيب الفريقين الوقوع فى مثل ما وقعوا فيه من قبل[٢].

وقد تلا ذلك قرار الطائفة الأرمينية المصرية بإنشاء اتحاد قومى للأرمن المصريين، واستنكروا فى مقدمة بيان أهداف هذا الاتحاد القول بأن الأرمن ضيوف فى مصر، ومما جاء فى هذه المقدمة: «. . . نحن الأرمن ـ المصريين الوطنيين ـ مهما اختلفت الطائفة أو الملة التى ننتمى إليها، لسنا ضيوفًا فى هذه الديار، بل نحن أولادها. . . إننا نصرخ بأعلى أصواتنا بأنه لا نزاع سياسى لنا ضد أى حكومة كانت، وعلاقتنا بالأرمن القاطنين بالخارج لا يمكن أن تتعدى دائرة الأمور الدينية والثقافية والأدبية المحضة[٣].

(١) جريدة وادى النيل عدد سبقت الإشارة إليه، وقد وصلت إلىّ إحدى هذه الصور الملتقطة عن طريق أحد الباحثين فى تاريخ الأرمن، وهو أ/ محمد رفعت، المسجل للدكتوراه مع أ. د. يونان لبيب رزق.

(٢) أحمد السيد أبو السعود ـ مصر والأرمن (ج ١) وليس له جزء ثان ـ حصلت عليه من مكتبة البطريركية الأرمينية بشارع رمسيس، وغير مرقم الصفحات.

(٣) كتاب حصلت عليه من مكتبة البطريركية الأرمينية الأرثوذكسية بشارع رمسيس تحت اسم: الاتحاد القومى للأرمن المصريين، وهو غير مرقم الصفحات.

ومما جاء بأهداف الاتحاد تأليف لجنة مختلطة من الأرمن والمصريين، بهدف توثيق روابط الصداقة بين العنصرين: المصرى والأرمنى[١].

وفى النهاية.. يمكن القول أن القوى الكبرى دائمًا ماتستخدم الشعوب الصغيرة أو الأقليات ذات النفوس الضعيفة لضرب الشعوب بعضها ببعض، مستهدفة النيل من هذه الأقليات، ومازال هذا الأسلوب مستخدمًا إلى الآن، وإن اختلف باختلاف الظروف السياسية والتاريخية لهذه الشعوب والأقليات.

(١) مقدمة ومبادئ الاتحاد القومى الأرمنى السابق الإشارة إليه.

قائمة المراجـع

أولا : وثائق غير منشورة :

١ـ برنامج الاتحاد القومى الأرمنى بالقاهرة (وقد حصلت عليه من مكتبة البطريركية الأرمينية الأثوذكسية).

ثانيا : وثائق منشورة :

١ـ وثائق خاصة بالنصف الأول من سنة ١٩١٩ F.O. 407 (حضلت عليها من أ.د. يونان لبيب رزق، والذى كان له الفضل الأكبر فى اختيار وكتابة هذا البحث).

٢ـ Russel's Private papers, April 1919 Dt . 107. 8.

خطاب من راسل إلي والده يقص فيه وقائع ثورة ١٩١٩، وقد حصلت عليه من أ.د. عبد الوهاب بكر).

ثالثا : الدوريات :

١ـ دوريات أجنبية :

Le Journal Du Caire April 1919

٢ـ دوريات عربية :

١ـ الأمة (مارس ـ أبريل ١٩١٩).

٢ـ الأهرام (مارس ـ أبريل ١٩١٩).

٣ـ السياسة الأسبوعية (سبتمبر ١٩٣٠).

(٤) المقتطف (الجزء الرابع من مجلد ٥٤ ـ أبريل ١٩١٩).

٥ـ مصر (مارس ـ أبريل ـ مايو ١٩١٩).

٦ـ الممتاز (أبريل ـ مايو ١٩١٩).

٧ـ وادى النيل (مارس ـ أبريل ١٩١٩).

٨ـ الوقائع المصرية (١٩٠٥).

رابعاً: المراجع:

١ـ مراجع أجنبية:

The Earl Cromer, Modern Egypt London 1911.

٢ـ مراجع مترجمة:

- **مدام جوليت آدم** ـ ترجمة على فهمى كامل بك «إنجلترا فى مصر» الطبعة الأولى ـ مطبعة شركة العلم والدفاع الوطنى. القاهرة ١٩٢٢.

٣ـ مراجع عربية:

- **أحمد حسين**: «موسوعة تاريخ مصر» ج٤ ـ دار الشعب ـ القاهرة
- **أحمد السيد أبو السعود**: «مصر والأرمن». ج١ تاريخ مصر القومى من ١٩١٤-١٩٢١ دار المعارف بالقاهرة
- **أحمد شفيق باشا**: «حوليات مصر السياسية» ـ تمهيد الجزء الأول ط١ ـ ١٣٤٥هـ.١٩٢٦م مطبعة شفيق باشا بالقاهرة
- **أ.د. أحمد عبد الرحيم مصطفى** «عصر حككيان» الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٠.
- **د/ رفعت السعيد**:تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ـ١٩٢٥.ـ
- **عبد الرحمن فهمى**: ثورة ١٩١٩ ـ الجزء الأول ـ تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ ـ ١٩٢١ دار المعارف بالقاهرة.ـ
- **عبد الرحمن فهمى**: مذكراته «يوميات مصر السياسية». ج ـ ـ إرهاصات الثورة من ١٣ نوفمبر ١٩١٨ إلى ٧ يونيه سنة ١٩١٩. إشراف وتحقيق أ.د يونان لبيب رزق ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨
- **أحمد حسين**: موسوعة تاريخ مصر، ج٤، دار الشعب القاهرة.
- **د/ رفعت السعيد**: تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥.